

تاريخ القبول: 2024/10/26

تاريخ الإرسال: 2024/08/25

تاريخ النشر: 2024/10/30

أسماء الأفعال
تلويناتها الصوتية ودلالاتها النفسية
Nouns of verbs
Its phonetic colorings and psychological
connotations

د. بلقنشي علي¹

جامعة ابن خلدون - تيارت - الجزائر ali.belkanichi@univ-tiaret.dz

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على ما اصطُحَّح عليه في الدرس اللغوي بأسماء الأفعال، وما تومئ إليه من أبعاد نفسية، مما يجعلها توقّر من الإبلاغية ما لا طاقة لغيرها به، متخذة من تلويناتها الصوتية منطلقا لها، ومجبية عن إشكالياتها الرئيسة: إلى أي مدى يمكن لأسماء الأفعال في هدي إجراءاتها الأسلوبية الوفاء بمقاصد التعبير، والوسوسة بدلالات نفسية؟، والتي توزعت الإجابة عنها على: بيان حقيقتها النحوية في المنجز اللغوي التراثي خاصة، ثم الكشف عن إشراقاتها الدلالية النفسية تحديدا من خلال نماذج منتخبة بعينها، متوصلة إلى احتلال هذه الوحدات البنائية (أسماء الأفعال) مركزية هامة في سياقاتها التي اختارتها لها عبقرية اللغة العربية، وقصدية التعبير القرآني.

الكلمات المفتاحية: التعبير القرآني، أسماء الأفعال، التلوين الصوتي، الدلالة النفسية، الدرس اللغوي.

Abstract:

This study aims to find out what is known in the linguistic lesson as verb nouns, and the psychological dimensions that they refer to, which makes them provide information that no other verb can provide, taking their phonetic colors as a starting point, and answering its main problem: to what extent can verb nouns Its stylistic procedures are guided by the fulfillment of the purposes of expression, and the obsession with psychological connotations?, to which the answer was divided into: clarifying its grammatical truth in the heritage linguistic achievement in particular, then revealing its psychological semantic implications specifically through specific selected models, leading to the occupation of these structural units (nouns of verbs). Important centrality in the contexts chosen for it by the genius of the Arabic language and the intentionality of Qur'anic expression.

Keywords: Quranic expression, nouns of verbs, phonetic coloring, psychological significance, linguistic lesson.

المؤلف المرسل: د. بلقنشي علي ali.belkanichi@univ-tiaret.com

1. مقدّمة:

إنّ من عبقرية اللغة العربيّة التي تشرّفت بحمل رسالة السّماء ومعانيها، أنّها ضمّت في بنائيتها وحدات لسانية عرفت بـ(أسماء الأفعال)، حيث تباينت في تلويناتها الصّوتية وأبعادها الدّلالية خاصّة النفسية منها، والتي توسّس بها في سياقات بعينها، ومن هنا جاءت هذه الدّراسة لتجيب عن الإشكالية التّالية: فيم تكمن هذه الوحدات اللّسانية؟ وإلى أيّ مدى هي قادرة على حمل مقاصد الخطاب، والوشاية بدلالات نفسية دون معاني أفعالها التي استتبطت منها؟.

ومن ثمّ تأتي بهدف تحديد أهميّة مثل هذه الآليات اللّغوية في تحديد مقاصد التعبير، متّكئة في ذلك على إطارين: أحدهما نظريّ يقف على حقيقتها في الدّرس اللّغوي، والآخر إجرائيّ ينطلق من نماذج منتخبة تهمس في هدي سياقاتها الأثيرة بها

بدلالات نفسية وجدانية، منطلقة من فرضية: أن أسماء الأفعال لا تؤدي وظيفة شكلية بقدر ما تؤدي وظيفة معنوية دلالية.

2. حقيقة أسماء الأفعال في الدرس اللغوي:

هي ألفاظ تدلّ على ما تدلّ عليه الأفعال، ونقوم مقامها، ونقترب بالزمن، وقد عرفها الدرس اللغوي القديم بأنها: «ألفاظ تقوم مقال الأفعال في الدلالة على معناها وفي عملها، وتكون بمعنى الأمر - وهو كثير فيها - كمه، بمعنى اكف، وأمين بمعنى استجب، وتكون بمعنى الماضي، كشئان بمعنى افترق، تقول: (شتان زيد وعمرو) وهيئات بمعنى بعد... وبمعنى المضارع، كأوه بمعنى أتوجع، ووي بمعنى أعجب»¹ أي أنها تدلّ على معاني أفعالها التي تقدّر وتستنبط منها من حيث اقترانها بالزمن.

وأبنيته لا تختلف باختلاف الزمان، فتبقى على صورة واحدة، وهي تعمل عمل أفعالها غير أنها لا تأتي على صيغها، ولا تتصرف تصرفها، ولا تقبل علاماتها، ولا تتأثر بما يسبقها من عوامل لفظية أو معنوية كالرفع والنصب والجزم كما في الفعل المضارع، فهي عاملة غير معمول فيها².

وقد تباينت حجج اللغويين في عدّها أسماء أم أفعالا؛ فذهب جمهور البصريين إلى اعتبارها أسماء حقيقية نابت عن أفعالها في المعنى، فهي تفيد ما يفيد الفعل الذي هو نائب عن الحدث والزمان، وكذلك في الاستعمال أو العمل كونها أبدا عاملا غير معمول؛ كنيابة اسم الفعل (شتان) عن فعل ماض وهو (افترق)، ونيابة (صه) عن فعل الأمر (اسكت)، ونيابة (أوه) عن الفعل المضارع (أتوجع)³؛ وذلك لأنّ قسما منها يقبل بعض علامات الأسماء؛ كالتثوين نحو: (صه ومه)، وأنها تعرّف بالألف كما في (النجاءك)، وهو اسم فعل بمعنى (انج)، بالإضافة نحو: (دونك ومكانك)⁴، وهي في ذلك تختلف عن الأفعال في عدم قبولها ياء المخاطبة، ونون التوكيد، والضمائر البارزة؛ لأنها تكون بلفظ واحد للمفرد والمثنى

والجمع، والمذكر والمؤنث، وغير ذلك، وذهب غيرهم من الكوفيّين إلى اعتبارها أفعالا حقيقية، تؤدّي معاني الأفعال التي أخذت منها، تجمع بين الحدث والزّمن⁵. وسواء أكانت أسماء أم أفعالا فقد جاءت في مواضعها التي اختارتها لها عبقرية اللغة العربيّة، وقصدية التعبير القرآني، ليكون لها بالغ الأثر في الوسوسة بأبعاد دلاليّة لا تومئ إليها في سياقاتها إلّا هي بالتّحديد، ومن المفيد أن نشير إلى أنّ الدّرس اللّغوي الحديث أطلق عليها مصطلح (ألفاظ الانفعال interjections) أو (الأصوات الانفعاليّة) لدلالاتها على جملة من الانفعالات والوجدانيات التي تكون مصاحبة لكلام المتلقّظ بها⁶.

وعليه، فإنّ هذا الجزء من الدّراسة سينهض على رصد الطّاقة الإيحائية للتّلوين الصّوتي لأسماء الأفعال استنادا إلى ما تسبغه على سياقاتها من دلالات نفسية، معتمدا في عنتبه الإجرائيّة على شواهد منتخبة من التّعبير القرآني.

1.2 اسم الفعل (أَفْ):

تتلخّص الدّلالة اللّغويّة لاسم الفعل (أَفْ) في معنى ما يجري مجرى الأقدار والأوساخ، وكلّ رديئٍ ومستقذر من الأقوال أو الأشياء التي يضجر منها ويبتأدى بها والتّلقّظ به ينبئ عن حالة نفسيّة يغلفها التّكره والنّضج⁷.

ومن السّياقات التي تؤذن ببعده النّفسي، قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء، 23]، فالمتأمّل في أعطاف السّياق يجد أنّ التّعامل مع الوالدين والإحسان إليهما قرّن بعبادة الله وحده، ويدرك نهيك أبيها المخاطب (الابن) عن التعرّض لهما وأذيتهما بأيّ كلمة دنيئة حتّى ولو كانت مجرد صوت، «عن أن تضيق ذرعا بهما في شعورك ونفسك، كما نهتك عن إيذاهما في شيء من عملك ومعاملتك، ثمّ كنّت عن الأوّل بأقلّ مظهر له وهو التّأفّف، وكنّت

عن الثّاني بأدنى مظهر من مظاهره وهو القسوة أو الانتهاز في القول، فنهت عن ذلك بدلالة النصّ، إذ النّهي عن أدنى أفراد الشيء أبلغ نصّ في الدّلالة على عموم النّهي عن الجنس كلّهُ»⁸.

ومفاد هذا النّهي هو الابتعاد عن التّواصل معهما بأهون تعبير لفظي (أفّ) لما يشي به من إلحاق الصّدمة النّفسيّة بهما، ويكشف من جهة أخرى عن عدم التعاطف معهما، والتّبرّم من تحمّل المسؤوليّة حيالهما⁹.

وكلمة (أفّ) وحدة لسانية في غاية الدقّة والإيجاز، نكاد لا نعثر على غيرها للوفاء بمتطلّبات التّعبير في هذا المقام تحديداً، والإفصاح عمّا تجيش به نفس الإنسان المتأفّف من انفعالات، وما يعتلي صدره من ضجر وضيق، وهي ما سمّاها بعض المحدثين بـ(الإفصاحيات)، وهي عندهم وحدات لسانية، أو أساليب تعبيرية تفصح عن حالات نفسيّة ومواقف انفعالية¹⁰.

وإذا تأملنا مفردة (أفّ) نجد أنّها تبدأ بصوت (الهزمة) المؤسّسة لبنية التّشكيل الصّوتي، وهو حسب الدّرس الصّوتي القديم صوت جوفي، من الأصوات التي مخرجها أقصى الحلق وأبعداها وأدخلها فيه¹¹، يحاكي بما له من سمة العمق والجوفية، وقربه من الصّدر ما يجيش في أعماق الولد من ضيق لحظة التّأفّف، وهو صوت يتمّ إنتاجه «بأنّ تسدّ الفتحة الموجودة بين الوترين الصّوتيين؛ وذلك بانطباق الوترين انطباقاً تامّاً، فلا يسمح للهواء بالنّفاذ من الحنجرة... ثمّ ينفجر الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً»¹²، فهو بصفته الانفجارية يرمي في هدي الدّلالة السّياقية إلى تفجّر مشاعر الضّيق والضّجر، وتدقّقها القويّ في نفس المخاطب الصّادر عنه مثل هذا الصّوت.

كما أنّه وبحسب طبيعة نطقه يعدّ من أصعب الأصوات وأشقّها وأعسرها نطقاً، يحسّ النّاطق به كأنّه يختنق؛ لكون مخرجه فتحة المزمار¹³، وذلك بسبب ما

يتطلبه نطقه من جهد عضلي نتيجة انطباق الوترين الصوتيين على بعضهما بإحكام، وخروجه من أعماق نقطة في آلة النطق، بما يتلاءم مع مدى صعوبة الأمر على الولد، وضيق نفسه، يريد أن يخرج من خلاله ما يعتلي صدره من مشاعر سلبية، وثقل نفسي.

ويأتي بعده صوت (الفاء) الذي له سمة التمديد والاستمرار والانفتاح¹⁴، وهو بهذه السمات الصوتية والخصائص النطقية الفيزيائية، يوحى بسعة النفس وكثرته أثناء خروجه نتيجة اتساع دائرة الانفعال لديه، بحيث لا يستطيع كتمانها، كما أن استمرارية الصوت وتمادده بحكم رخاوته بشكل انسيابي دون الاصطدام بعوائق¹⁵ يكون داعيا إلى التعبير عن إخراج المتضجر للهواء نتيجة امتلاء صدره بالغضب في غياب الرادع الديني إذا ما تلقظ به، ثم إن تضعيف الصوت (التشديد) في (أف) الذي ينطق بمدة أقصر، وبذل مجهود أقل مما لو نُطق صوتان متماثلان¹⁶، يتناغم ورغبة المتأقّف في الإسراع بإخراج ما يعتريه من مشاعر سلبية تضغط عليه.

ولو رحلت تستبدل المفردة المنتخبة بالفعل الذي في معناها (أتضجر) لانفرط منك عقد المعنى؛ حيث «ثمة فرق دلالي وبنوي بين التعبير بـ (أف)، والتعبير بـ (أتضجر)؛ وهو أن الأول ينفي التعرض لهما بأدنى درجات الإيلام النفسي، بله أقصاه، ويشمل سرعة الاستجابة للباعث النفسي، وليس الأمر كذلك في الصيغة الثانية ... وكأن الآية لا تبقى مجالا حتى للتعبير عن هذا الإيلام النفسي اليسير الذي يشبه استئفال الإنسان عندما ينفخ في رماذ أو غبار يسقط على لباسه»¹⁷، كما أنها تعدّ مفتاحا يرفد البنية الخطابية بطاقة إحيائية هائلة تنبئ بأن الله تعالى «لم يرخّص في أدنى كلمة تنقلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته، ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في الاستطاعة»¹⁸، وهو ما يمكننا من القبض على تلك الدلالات البعيدة، والمعاني الغائبة والأبعاد النفسية.

2.2 اسم الفعل (وَيَ):

عدّها المنجز اللّغوي التّراثي من أسماء الأصوات التي يخرجها المتعجّب أو النّادم المتحسّر نتيجة مثير بصريّ أو سمعيّ¹⁹، وهذه الوحدة اللّسانية اكتنزت انفعالي التعجّب والتّندّم في آن واحد، ومرّد ذلك أنّ المتلفّظ بها تعثره حالة من التعجّب حيال أمر ما لم ينتبه إلى حقيقة، ثمّ يبدي أسفه وتتدّمه²⁰.

ومن السّياقات التي وردت فيها هذه اللفظة، قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكَانَهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص، 82]، والتي يخبر فيها عن خروج شخصية (قارون) على قومه في هيئة تعلوها مظاهر الزّينة العظيمة التي بلغت ذروتها حتى فتنت ضعافي النفوس الذين انبهروا لرؤيتها فطارت لها قلوبهم.

وهذا المثير البصري -الثروة العظيمة- هو الذي دفع بعديمي الوعي الذين تعلّقوا بالمتاع الدّنيوي أن يتمنّوا امتلاك ما امتلكه قارون من الكنوز العظيمة، ﴿...يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص، 79]، إذ أنّ «هذا المنبّه المادّي والنّفسي لا بدّ أن يترك انعكاساته على الآخرين بالضرورة، حيث أنّ الباحث عن متاع الدّنيا لا بدّ أن ينبهر بما هو ضخم من المتاع المشار إليه ... حيث أنّ مجرّد التّمني بأن يكون لهم مثل ما لقارون من الزّينة، ومجرّد قولهم بأنّ قارون ذو حظّ عظيم. هذا القول كاف في الكشف عن عدم نضجهم عقلياً وعاطفياً»²¹.

لكن سرعان ما تبدّدت أمنيّاتهم لما رأوا رأي العين ما فعل الله به وبثرواته وحينها أظهروا ندمهم، معبّرين عن ذلك بالوحدة اللّسانية (وَيَ) التي تحمل دلالة التنبّه والتّندّم على خطئهم في تمثيهم بقولهم (يا ليت لنا مثلاً ما أُوتِيَ قارون) المقترنة

ب(كان)²²، أو بمعنى آخر أنهم لما ندموا على فرط تمنّيهم، أظهروا تعجّبهم لما عاينوا هلاك قارون.

ولفظه (وَي) تكتنز طاقة تعبيرية تتوافق مع الحالة النفسية للمتلفّظين بها؛ إذ هي مكوّنة من صوتين أولهما صوت (الواو) الذي ينطق بتذبذب الأوتار الصوتية بعد استدارة الشفتين بضمّ بعضهما إلى بعض²³، لتسهم بما لها من خصائص صوتية مستمدة من هيأتها النطقية، وما يتطلّب نطقها من قوّة إثر تقلّص عضلات الفم، وتدوير الشفتين وبروزهما للأمام في التعبير عن قوّة الانفعال والتأثير النفسي الذي خلفه قوّة المثير الماديّ المذكور، لتكون بذلك عاكسة للموقف النفسي، وألبق بسياق تصوير جوّ الانفعال.

وثانيهما صوت (الياء) الذي يوحي بجملة من الانفعالات التي تحدث في الباطن، وفيه دلالة الاتجاه نحو الذات²⁴، وهذا يتناسب مع حال وموقف القائلين ومع عمق ما يحملونه من الأمنيات تجاه الملك العظيم، وما أحسّوا به من حزن وانكسار نفسيّ على عدم امتلاكه من جهة، وما انتابهم من مشاعر سلبية لما عاينوا زوال المؤثر الماديّ وصاحبه.

وعليه، فإننا نلمح الدور البارز الذي تؤديه الصّوامت في النهوض بأداء المحتوى الدلالي النفسي، والتي جعلت المفردة المنتخبة (وَي) أكثر انسجاماً مع المعنى المقصود، حتّى كأنّ اللفظة القرآنية تستقلّ بتلويناتها الصوتية في تصوير المشهد والوسوسة بالبعد النفسي، فقد «كانت أصوات اسم الفعل (وَي) أبلغ في وصف حالتهم من التوجّع والاعتبار والخوف من وقوع العذاب بهم، فهم ما بين النّدْم والتّعجّب والخوف...، فأصوات اسم الفعل ومحركاتها للشّعور قد أدّت الغرض ورسمت بأصواتها ما يشعرون به في المرتين؛ في التعجّب مرّة، وفي النّدْم والاعتبار مرّة أخرى»²⁵.

وبالتالي فإنَّ الصَّامت (الياء) بتمتعه بتلك الخصائص المذكورة مكنه من استيعاب الشَّحنة الدَّلالية، والتَّعبير عن المكنونات الدَّاخلية، فضلا عن قصر الصَّيغَة الذي تكون أكثر ملاءمة من قسيمتها الطَّويلة في تعيين الحالات النَّفسية والوجدانية²⁶، وبذلك تشكّل أصوات المفردة مظهرا صوتيًا يكشف عن مدى فاعلية هذه الأصوات في بنائها الصوتي والدَّلالي.

3.2 اسم الفعل (هلم):

وردت هذه اللفظة في قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب، 18]، واختصت بفضح المنافقين الذين كانوا يبتطون إخوانهم عن القتال، حتَّى يشتتوا جمعهم ويتخلَّوا عن نصره الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم - متعللين في ذلك بأنَّ ميزان القوة لا يصبُّ في صالحهم، وقد ضمت الآية في بنائيتها تعبير (هلمَّ إلينا) الذي يشترك فيه الواحد والجماعة على لغة أهل الحجاز، عكس تميم التي تفرَّق فيه بين ما يسند إليه من ضمير، فنقول: هلمَّ يا رجل، وهلمَّوا يا رجال، وهو بمعنى قرَّبوا أنفسكم إلينا، ودعوا محمَّدًا²⁷.

وبالعودة إلى الأصوات المشكَّلة للفظ (هلمَّ) التي تتطوي على قيمة عضويَّة في بناء الآية، وتعتمد البعد النَّفسي في تركيبها، نجد صوت (الهاء) الذي تتسم اهتزازاته الصَّوتية بالتأثّر المباشر بمختلف الانفعالات؛ وذلك لحدوثه في الحلق القريب من جوف الصَّدر²⁸، لتكون أنسب الأصوات في رفد بنيتها بشحنات إيحائية تتوافق مع ما يختلج في أعماق نفوس المنافقين من الخواطر السَّلبية؛ من الحقد والكراهية لمحمَّد وأصحابه، وللإسلام عموما.

أمَّا صوت (اللام) فهو صوت جانبيّ منحرف، يتذبذب أثناء إنتاجه الوتران الصَّوتيان، إذ يعتمد طرف اللسان على أصول الثَّنايا العليا، يرتفع معه الحنك

الأعلى، فلا يسمح للهواء بالمرور من طرف الأنف، حيث تنشأ عقبة في وسط الفم مع ترك منفذ للهواء عن إحدى حافتي اللسان²⁹، وهو بهذه السمات النطقية والخصائص الصوتية يصور انحراف المنافقين عن الصواب، وعن الحق والدعوة إليه، وخروجهم عن النهج السليم الذي يميز المخلصين الذين عاهدوا الرسول على نصرته، وعدم التخلي عن دعوته.

وهو من خلال شدة التصاق مقدمة اللسان بأصول الثنايا العليا، وتعلقها به أثناء إنتاجه يتعاضد مع شدة تمسك هذه الطائفة المنحرفة عقيدياً بانحرافاتهم، وما هم عليه من الالتواء النفسي، في منعهم وتثبيطهم الناس عن القتال مع الرسول والتصاق صفات المكر والخداع بهم التي لا تفارقهم أبداً، وشدة رغبتهم في عدم تحقيق الطائفة المؤمنة لماربها، وأيضاً يحاكي بطول مداه³⁰، طول لبثهم ويقائهم في غيهم وضلالهم ودوامهم عليه.

متأزراً في ذلك مع المصوت القصير (الضمة) الذي يتطلب نطقه مشقةً وجهداً كبيرين إثر تقلص عضلات الفم وتدوير الشفتين اللتين «تكونان مفتوحتين بالكاد، ومتقدمتين نحو الأمام بشكل مدور»³¹، ليصاقب الجهد العظيم والمشقة الكبيرة التي يبذلها المنافقون في سبيل تثبيط المخلصين عن القتال ومنعهم منه، مما يؤكد تشابك البنية الإيقاعية مع البنية الدلالية؛ فكل صوت يرسم صورة، ويحدد ملمحاً من ملامح شخصية المنافقين.

وتختتم المفردة القرآنية بصوت (الميم) الذي يتسق مع الأحداث التي تتميز بالانغلاق والسد، وذلك لما له من سمة انضمام الشفتين³²، فهو بدلالته على الجمع والضم، والإطباق والانغلاق يؤول إلى شدة رغبتهم في أن تشمل التفرقة صفوف المخلصين للرسول ودعوته، ورجعتهم عن نصرته، نظراً لتمكّن مرض النفاق من نفوسهم واستقراره فيها، بحيث لا يرجى اهتداؤها.

ومن جهة أخرى فإنّ هذا الصّوت يفتح في آخر مرحلة من مراحل النّطق به لما له من سمة الانفتاح³³، نتيجة انبساط اللّسان في أثناء النّطق به، ليعبر عن انفتاح نفسيّاتهم وانبساطها على الإقدام على تلك الأفعال السّلبية المعادية للرّسول وأتباعه، بحيث لا تعرف التّراجع والارعاء، ثم إنّ التّشديد على الميم يشير إلى شدّة حرصهم على ما هم عليه؛ لأنّ إتيانهم إلى الحرب لا يكون إلّا زمنا قليلا مقدار ما يشاهدونهم ليسرعوا بالانصراف والانسحاب منها.

4.2 اسم الفعل (حَسَبَ):

هو اسم فعل أمر بمعنى (اكتَفَ) الحامل دلالة الكفاية³⁴، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ...﴾ [الأنفال 62]، ومعنى السّياق الكريم عند الشّوكاني (ت1250هـ) أنّه جمع كفايتين: كفاية خاصّة، وكفاية عامّة غير مقيدة في الآية، والمعنى: حسبك الله وحسبك المؤمنين، وأنّ الله كافيك وكافي المؤمنين على حدّ سواء³⁵.

ومن خلال التّوصيف الصّوتي للأصوات المكوّنة لكلمة (حَسَبَ) نسجّل حضور صوت (الحاء) الذي يكون مخرجه قريبا من جوف الصّدر، ويتمّس بالرقّة والشفافية، إذ يعدّ أعذب الأصوات وأغناها عاطفة وأكثرها حرارة، وهو ينتمي إلى أصوات الحلق التي تمتاز بقدرتها على التّعبير عن الانفعالات النّفسية والخلجات الشّعورية الصّميّة³⁶.

وبالنّظر إلى موقعها في المدرج الصّوتي (الحلق)، وبسماتها الصّوتية المقرّرة فإنّها تتناغم مع عمق تلك الكفالة والكفاية، والحفظ والمنعة التي حظي بها النّبي - صلّى الله عليه وسلّم- من قبل الله تعالى، وما يتبع ذلك من الأُنس والنّظمين والمواساة، إذ لا قيمة لخداعهم وغدرهم ومكرهم أمام حفظ الله ورعايته له «ليؤكّد أنّ الذي يكفيكم ويدفع الشّر عنك ويقيك غائلة خداعهم ليس بشرا مثلهم، ولا عصابة

تقاتلهم، بل هو أكبر من ذلك، وهو الله سبحانه وتعالى، لذا جاء بالإخبار عمّن يكون حسب النبيّ والمؤمنين بلفظ الجلالة ليكون دليلاً على عظمة المكافي في مثل هذه الحالات، وهذا ما يزيد المسلمين إيماناً واطمئناناً³⁷، فيدخل هذا الخطاب بهذه الكلمة إلى أعماق نفسية الرسول ويلامس شغاف قلبه الشريف مباشرة، حيث أمّنه من خداعهم.

ولكي تؤدّي الكلمة بأصواتها بيان الحالة الشعورية، والإيحاء بالبعد النفسي الذي كان عليه النبيّ الكريم عند سماعه لهذه الكلمة أردف صوت (الحاء) بصوت (السين) المنتمي إلى فئة الأصوات المهموسة التي تتسم بالانسيابية والرقّة والسلاسة واللّين، إثر صمت الوترين الصوتيين وتوقفهما عن الحراك حال النطق بها³⁸، ممّا يؤهلها لتكون أقدر الأصوات على توليف إيقاع يتناسب ومواقف اللّين والرقّة، إضافة إلى كونه من الأصوات المستقلة التي يكون اللسان أثناء نطقها في قاع الفم³⁹، حيث يوسوس وجوده في قاع الفم بخلجات نفسية ومشاعر بعيدة خافية عن الأنظار.

ثمّ يأتي صوت (الباء) بما له من سمة التماسك والقوّة إثر إطباق الشفّتين حيث «يتكوّن بأن يمرّ الهواء أولاً بالحنجرة، فيحرّك الوترين الصوتيين، ثمّ يتخذ مجراه بالحلق ثمّ الفم حتّى ينحبس عند الشفّتين، منطبقتين انطباقاً كاملاً ... فللنطق بالباء تنطبق الشفّتان أولاً حين انحباس الهواء عندهما، ثمّ تتفرجان فيسمع صوت الباء»⁴⁰، ليوحى بقوة الرّبط والشّد على قلب النبيّ من أن يتسرّب الحزن إليه.

وتختتم المفردة بصوت (الكاف) الطّبقّي الذي ينحبس تيّار الهواء حين نطقه نتيجة التقاء أقصى اللسان بالطّبق، وبعد انفصالهما يسمع صوت انفجاريّ نتيجة اندفاع الهواء⁴¹، فهو بإغلاقه الآني للهواء بسبب التصاق أقصى اللسان بأقصى الحنك، وحبسه للهواء الخارج من الرئتين يحاكي إغلاق كلّ منافذ مكرهم، وسدّ طرق

خداعهم مهما كانت، وقطع رغبتهم في أن يطبق الحزن على قلبه الشريف، وفي ذلك تبيّن لهم.

ثم إن تكرار المصوّت القصير (الفتحة) في المفردة (حَسْبَكَ) بما ينطوي عليه من قيم دلالية مستوحاة من طبيعته الإنتاجية من الخفة على اللسان والسعة والانفتاح، إثر انفتاح الفم على مداه، حيث يبقى الفم مفتوحاً بشكل واسع في أثناء النطق به، وحجرات الرنين الفموية كبيرة، أما وضع الشفتين معها فتكونان مسطّحتين منفرجتين⁴²، يسهم في بثّ جوٍّ من الانشراح والسعة والأمان، ممّا يولّد الانبساط ويزيد من انشراح الصدر، وكذلك ما تتسم به المصوّتات القصيرة وتحديدًا الفتحة من السرعة في النطق⁴³، يتناسب مع سرعة الإعلان عن كفالة الله له ليزداد القلب بها طمأنينة.

3. خاتمة:

لقد تجلّى في نهاية هذه الدراسة أنّ اختيار أسماء أفعالٍ بعينها في سياقات محدّدة كان اختياراً فنياً مقصوداً؛ بحيث أفصحت عن كثير من المعاني الغائبة والدلالات البعيدة التي ما كانت لتظهر لولا وجود هذه الوحدات اللسانية التي يعزّ أن يكون لها بديل؛ لما تحمله من طاقات تعبيرية توسّس في هدي إجراءاتها الأسلوبية بأبعاد نفسية، وهو ما يؤكّد صحّة الفرضية المطروحة من قبل، وقد أفصحت هذه الدراسة عن جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- احتلال الوحدات اللسانية الممثلة في أسماء الأفعال مركزية هامة في معمارية سياقاتها الأثرية بها التي اختارتها لها عبقرية اللغة العربية، وقصدية التعبير القرآني، بما تشيعه فيها من قيم دلالية.

- إنَّ إنعام النَّظر في تشكيلاتها الصَّوتِيَّة، وحسن التَّسمُّع لهمس حروفها متعاذرة مع دلالاتها اللُّغويَّة، وظائفها النَّحويَّة له الأثر البالغ في الكشف عن أسرارها البلاغيَّة التي تعجز عن تأديتها الأفعال التي هي بمعناها.

- أثبتت الدِّراسة مدى فاعليَّة هذه الوحدات البنائيَّة في الوفاء بمقاصد التَّعبير، من خلال ما توسَّس به من دلالات نفسيَّة، وتصوير ما يعتلج في النفوس من المشاعر.

وتقترح الدِّراسة توسيع البحث في أسماء الأفعال من خلال تلويناتها الصَّوتِيَّة وربطها بما تشي به من الأبعاد الدَّلاليَّة المختلفة.

4. قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- ¹- ابن عقيل بهاء الدِّين، شرح ابن عقيل، (تح) محمد محي الدِّين عبد الحميد، دار النَّراث القاهرة، مصر، ط20، 1400هـ، 1980م، ج3، ص:302، 303.
- ²- ينظر: الإسترايازي رضي الدِّين، شرح الرضي على الكافية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ط2، 1996م، ج3، ص:83، والصَّبَّان أبو العرفان محمَّد، حاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني، (تح) طه عبد الرَّؤوف سعد، المكتبة التَّوفيقيَّة، القاهرة، مصر، ط1، 1987م، ج3، ص:287، 288.
- ³- ينظر: الأزهرى خالد، شرح التَّصريح على التَّوضيح، (تح) محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ج2، ص:281، 282.
- ⁴- ينظر: ابن جَنِّي عثمان، الخصائص، (تح) محمَّد علي النَّجَّار، الهيئة العامَّة لقصور الثَّقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2006م، ج3، ص:44، 45.
- ⁵- الصَّبَّان أبو العرفان محمَّد، حاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني، ج3، ص:288.
- ⁶- ينظر: جبر محمَّد عبد الله، أسماء الأفعال وأسماء الأصوات في اللُّغة العربيَّة، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، 1980م، ص:57.

- ⁷ - ينظر: الكفوي أبو البقاء، الكليات، مادّة (الأف)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ، 1998م، ص:153، و ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، مادّة (أف)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1419هـ، 1999م، ج1، ص:163، 164.
- ⁸ - البوطي محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن (تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل)، دار الفارابي للمعارف، الشارقة، الإمارات، دط، 1427هـ، 2007م، ص:293.
- ⁹ - ينظر: البستاني محمود، التفسير البنائي للقرآن الكريم، مؤسسة الطبع التابعة للأستانة، إيران، ط1، 1422هـ، 2002م، ج3، ص:16.
- ¹⁰ - ينظر: تّام حسان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، دار الثقافة، الدّار البيضاء، المغرب، دط، 1994م، ص:113.
- ¹¹ - ينظر: القيسي مكّي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها، (تح) محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1404هـ، 1984م، ج1، ص:72.
- ¹² - السّعران محمود، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص:157.
- ¹³ - ينظر: أنيس إبراهيم، موسيقى الشّعر، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، مصر، ط2، 1952م، ص:26.
- ¹⁴ - ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، دط، 1418هـ، 1997م، ص:315.
- ¹⁵ - ينظر: أنيس إبراهيم، الأصوات اللّغويّة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط2، 1950م، ص:26.
- ¹⁶ - ينظر: الحمد غانم قدوري، المدخل إلى علم أصوات العربيّة، دار عمّار للنشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1425هـ، 2004م، ص:229.
- ¹⁷ - صالح ملا عزيز، جماليات الإشارة النّفسية في الخطاب القرآني، دار الزّمان للطباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، سورية، ط1، 2010م، ص:170، 171.
- ¹⁸ - الزّمخشري جار الله محمود، تفسير الكشاف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1430هـ، 2009م، ج15، ص:594.

- ¹⁹- ينظر: ابن يعيش موقّق الدّين، شرح المفصّل للزمخشري، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م، ج3، ص:90.
- ²⁰- ينظر: جبر محمّد عبد الله، أسماء الأفعال وأسماء الأصوات في اللّغة العربيّة، ص:114.
- ²¹- البستاني محمود، التفسير البنائي للقرآن الكريم، ج3، ص:382، 384.
- ²²- ينظر: الزّمخشري جار الله محمود، تفسير الكشف، ج20، ص:811.
- ²³- ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللّغويّة، دار صفاء للطباعة والنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط2، 1435هـ، 2014م، ص:157، 158.
- ²⁴- ينظر: أسعد أحمد علي، تهذيب المقدّمة اللّغويّة للعلايلي، دار السّؤال للطباعة والنّشر، دمشق، سورية، ط3، 1406هـ، 1985م، ص:64.
- ²⁵- عبد الجليل فاطمة عبد الزّهرة، «مظاهر الدّلالة الصّوتيّة لأسماء الأفعال في القرآن الكريم»، مجلّة تسليم، العتبة العبّاسيّة المقدّسة، مركز العيد الدّولي للبحوث والدراسات، العراق، مج12، ع23 و24، 1444هـ، 2022م، ص:47، 48.
- ²⁶- نقلا عن: صالح ملا عزيز، جماليات الإشارة النّفسية في الخطاب القرآني، ص:171.
- ²⁷- ينظر: النّسفي محمود، مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل، (تح) يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيّب، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، 1998م، ج3، ص:23.
- ²⁸- ينظر: عبّاس حسن، خصائص الحروف العربيّة ومعانيها، منشورات إتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سورية، ط1، 1998م، ص:194.
- ²⁹- ينظر: السعران محمود، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي، ص:169.
- ³⁰- ينظر: بشر كمال، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2000م، ص:205.
- ³¹- بسام بركة، علم الأصوات العام أصوات اللّغة العربيّة أصوات اللّغة العربيّة، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ط1، دت، ص:132.
- ³²- ينظر: عبّاس حسن، خصائص الحروف العربيّة ومعانيها، ص:72.
- ³³- ينظر: نفسه، ص:72، 76.

- ³⁴- ينظر: ابن يعيش موفق الدين، شرح المفصل للزمخشري، ج3، ص:92، والأصفهاني الزاغب، مفردات ألفاظ القرآن، مادة (حسب)، (تح) صفوان عدنان دواودي، دار القلم، دمشق، سورية، ط4، 1430هـ، 2009م، ص:234.
- ³⁵- ينظر: الشوكاني محمّد، فتح القدير، (تح) عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط1، 1435هـ، 2014م، ج2، ص:465.
- ³⁶- ينظر: عباس حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص:182.
- ³⁷- الخالدي كريم حسين ناصح، الخطاب النفسي في القرآن الكريم (دراسة دلالية أسلوبية)، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1428هـ، 2007م، ص:233.
- ³⁸- ينظر: أنيس إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص:22.
- ³⁹- ينظر: القيسي أبي محمّد مكّي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، (تح) أحمد حسن فرحات، دار عمّار، عمان، الأردن، ط3، 1417هـ، 1996م، ص:124.
- ⁴⁰- السابق، ص:47.
- ⁴¹- ينظر: النوري محمّد جواد، علم الأصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ط1، 1996م، ص:163.
- ⁴²- ينظر: بسام بركة، علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية، ص:132، وعبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص:209، 210.
- ⁴³- ينظر: أحمد محمّد قدّور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سورية، ط3، 1429هـ، 2008م، ص:132.